

#أثر_التعليم_العالي
#أوقافد. محمد المحييميد
مهتم بالاستراتيجية
وأفق التعليم

أثر يضيء الوطن

أرقام عطاء جامعة سليمان الراجحي،
وقراءة فيما تعنيه المنحة والبحث والساعة
التطوعية والشاركة.



أما المنحة الجزئية، وهي الأكثر عدداً هنا، فأثرها من نوع آخر قلماً يُنتبه إليه. ذلك أن التعثر المالي في التعليم الجامعي نادراً ما يقع عند باب القبول، بل يقع في منتصف الطريق: في السنة الثالثة أو الرابعة، حين يتغير دخل الأسرة أو يدخل أخ آخر الجامعة. والمنحة الجزئية في هذه اللحظة هي الفرق بين طالب يكمل وطالب ينسحب وقد قطع نصف المسافة. وتكلفة الانسحاب في هذه المرحلة أعلى من تكلفة الإكمال، على الطالب وعلى المجتمع معاً. ثم إن أثر المنحة لا يتوقف عند صاحبها. فالخريج الأول في أسرته يغير توقعات من بعده فيها، وتصبح الجامعة في بيته احتمالاً مألوفاً لا استثناءً بعيداً. وهذا أثر لا يظهر في أي جدول، ويظهر بعد عشر سنوات في إخوة صغار لم يكونوا في الحساب.

البحث: أن يعود إليك غيرك

٢٢٤ بحثاً علمياً خلال عامي (٢٠٢٥ و ٢٠٢٦)، منها ١٩٨ بحثاً مفهراً في قاعدة سكوبس و١٣٥ في قاعدة ويب أوف ساينس، و٨٤ منشوراً علمياً محكماً، وسبع مبادرات ضمن استراتيجية البحث العلمي.

ثم رقم رابع مختلف عن سابقيه في طبيعته: أربعة باحثين ضمن أعلى ٢٪ الأكثر استشهاداً عالمياً.

الفرق أن الأرقام الثلاثة الأولى تقيس ما قدمته الجامعة من معرفة. أما الرابع فيقيس ما بناه عليها باحثون آخرون. فقائمة أعلى ٢٪ تُبنى على الاستشهادات ومؤشرات بليومتريّة مركبة من قاعدة سكوبس، لا على عدد الأوراق المنشورة. أي أن دخولها لا يُنال بغزارة النشر، بل بأن يرجع إلى بحثك من يبحث بعدك.

ما الذي يضيء الوطن فعلاً

طبيب يُهني مناوبته في مستشفى بعيد عن الرياض. وطالبة في السنة الثالثة ما كان لأسرتها أن تتحمل رسومها. وورقة علمية خرجت من مختبر في القصيم فاستشهد بها باحث في بلد آخر. وساعة أعطها شاب لعمل تطوعي لم يكن مضطراً لإعطائها.

هذه أربع صور لا يجمعها شيء ظاهر. لكنها كلها، في هذه الحالة، ترجع إلى قرار واحد اتخذته رجل واحد: أن يوزع ثروته على أبنائه وبناته في حياته، وأن يوقف الجزء الأكبر منها. وقد قال حين سُئل عن قيمة وقفه قبل نحو عشر سنوات إنها تجاوزت ستين مليار ريال.

المال حين يُوقف يخرج من دائرة التملك إلى دائرة الغلة. لا يُباع ولا يُورث، ويبقى أصله ويجري نفعه. وهذه ليست صيغة مالية فحسب، بل قرار في الزمن: أن تختار نفعاً لا تراه كله، ولا تعرف أسماء من ينتفعون به بعد عقود.

وتحتفي هوية اليوم الوطني السادس والتسعين، تحت شعار «عزنا بطيعنا»، بستة من الطباع السعودية: الشجاعة والرؤية والأصالة والهمة والجد والكرم. والوقف لا يجمع منها طبعاً أو طبعين، بل يجمعها كلها في فعل واحد.

فيه الجود الذي يعطي، والكرم الذي يعطي بلا من ولا انتظار مقابل. وفيه الشجاعة، إذ ليس هيباً أن يتخلى رجل عن ملكه وهو حي وقادر، ويسلمه إلى أيدي لم تولد بعد. وفيه الرؤية التي ترتب العطاء ليبقى بعد صاحبه فالجود وحده صدقة تنتهي بانتهاء المال، والجود حين تضبطه رؤية يصير مؤسسة تعمل قروناً. وفيه الهمة، لأن الوقف لا يُنشأ ويُترك، بل يُبنى ويُدار ويُحاسب عليه ناظره سنة بعد سنة. وفيه الأصالة، لأن الوقف ليس ابتكاراً إدارياً حديثاً، بل سمة متصلة في هذه الأرض من قرون، ما زالت تُبنى بها المدارس والمساجد والمستشفيات.

وفي هذا المقال أعرض أرقام عطاء جامعة سليمان الراجحي، والجامعة كيان من كيانات الوقف لا الوقف كله، فما يلي جزء من عطاء أوسع لا صورته الكاملة. وأكتب عنها من داخل المنظومة، فليقرأ القارئ ما يلي على هذا الأساس.

المنح: حين ينفصل قرار الالتحاق عن قدرة الأب

في الجامعة ٥٩٠ منحة كاملة من الوقف والجهات الشريكة، منها ١٩٢ منحة مقدمة من الوقف مباشرة و٣٩٨ منحة بالشاركة مع جهات أخرى. ويضاف إليها ١٥٥٩ منحة جزئية.

الرقم الأول يحتاج وقفة. فالمنحة الكاملة في تخصصات صحية تمتد ست سنوات أو أكثر ليست خصماً على فاتورة، بل إزالة للفاتورة من طاولة الأسرة كلها. ومعناها أن سؤال «هل نقدر؟» لا يُطرح أصلاً، وأن الطالب يُقبل بقدراته لا بقدرة أبيه.

#أثر_التعليم_العالي
#أوقافد. محمد المحييميد
مهتم بالاستراتيجية
وأفق التعليم

الشراكات: مضاعفة الأثر

أكثر من ٤٥ شراكة.

وهذا رقم يُساء تقديره حين يُقرأ وحده، لأنه في ظاهره عدد اتفاقيات. لكن أثره يظهر حين يوضع بجانب رقم آخر في هذه الأرقام نفسها: ٣٩٨ منحة كاملة من أصل ٥٩٠ جاءت بشراكة مع جهات أخرى.

أي أن ثلثي المنح الكاملة تقريباً ثمرة شراكة. والشراكة هنا ليست بروتوكولاً مؤقتاً، بل مضاعف للغة الوقفية: ريال الوقف حين يجد شريكاً يصير ريالين، والمقعد الدراسي الواحد يصير مقعدين. وهذه أوضح صور ما يسميه أهل القطاع رفع الأثر بالشراكة.

وتبقى الخطوة التالية في الشراكات أن يُروى ما أثمرته لا عددها وحده: كم منحة مؤلته، وكم بحثاً مشتركاً أنتجته، وكم برنامجاً تدريبيرياً فتحت.

ثلاثة مبادئ

تتبع الخريج لا المنحة

المنحة تنتهي يوم التخرج، وأثرها يبدأ بعده. فأين يعمل الخريجون؟ وكم منهم في المناطق التي تحتاجهم؟ وما الفرق بين مسار من حصل على منحة كاملة ومن لم يحصل؟ هذه أسئلة تُجاب ببيانات موجودة أصلاً، ولا تحتاج إلا أن تُرابط.

الحل ما بُني على البحث لا عدده

عدد الأبحاث مخرج. أما أن يُذكر بحث واحد غير بروتوكولاً علاجياً، أو دخل سياسة، أو بُني عليه عمل لاحق، فذلك ناتج. وقصة واحدة من هذا النوع أبلغ في نفس القارئ من ثلاثة أرقام.

افصل ما يُحصى عما يُروى

الساعة التطوعية والشراكة والمنحة تُحصى. أما ما تتركه في صاحبها فلا يُحصى ويُروى. والتقرير الذي يكتفي بالإحصاء يخسر نصف ما فعله، والذي يكتفي بالحكاية يخسر مصداقيته. والجمع بينهما ممكن في صفحة واحدة.

خاتمة

العز حين يُنسب إلى الطبع لا يُقصد به طبع الأفراد وحدهم، بل ما تحوّل منه إلى مؤسسات باقية. جود أعطي، وكرم لم ينتظر مقابلاً، وشجاعة تخلّت عن الملك، ورؤية رتبت العطاء، وهمة نمّته، وأصالته وصلته بسنة قديمة. فصار وقفاً، وصار من الوقف جامعة، وصار من الجامعة ما تقرأه في هذه الأرقام. والأثر الذي يضيء الوطن ليس الرقم في هذا المقال، بل الإنسان الذي وراء الرقم. والوقف الذي بدأ بمال رجل واحد، يُقاس اليوم بعدد من يقفون على أكتافه.



وهذا، في تقديري، أدقّ تعبير عن «الأثر الممتد» الذي يتحدث عنه الفقهاء في الوقف. مال أوقفه رجل في القصيم، تحوّل إلى جامعة، صارت تنتج معرفة يقرأها ويبنى عليها باحثون لا يعرفون اسم الوقف ولا بلده.

التطوع: مدرسة لا رقم

أكثر من خمسين ألف ساعة تطوعية.

الساعة التطوعية سهلة العدّ، ولهذا يُساء فهمها. فهي تُقرأ عادة بوصفها خدمة قُدّمت للمجتمع، وهي كذلك. لكن أثرها الأعظم يقع في الاتجاه المعاكس: في المتطوع نفسه.

طالب الطب الذي يقضي ساعاته في حملة توعية بحبي شعبي يتعلم ما لا تعلّمه المحاضرة: كيف يخاطب من لا يعرف مصطلحاته، وكيف يبدو المرض حين يجاوره الفقر. وهذه ساعات تعيد تشكيل الطبيب الذي سيصير، لا ساعات يتبرع بها فحسب.

وعلى المستوى الوطني بلغ عدد المتطوعين في المملكة ١.٧ مليون متطوع في عام ٢٠٢٥، متجاوزاً مستهدف رؤية ٢٠٣٠ البالغ مليون متطوع قبل موعده. فالتطوع من أسرع مؤشرات القطاع غير الربحي نمواً. وما يبقى صعباً هو قياس ما يتركه في نفس صاحبه، لا إحصاء ساعاته.

